# الاتجاهات السياسية في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بعد الانتفاضات العربية: تحوُّل الإسلام السياسي في نظامٍ إقليميٍّ متغيِّر

٢٢ سبتمبر/أيلول ٢٠١٨

إسطنبول، تركيا

**تقرير نهائي**

تمرُّ الأنظمة الإقليمية والدولية حاليًا بعملية إعادة تشكيل تزامنًا مع الأزمةٍ التي تشهدها الديمقراطية الليبرالية ومؤسسات الدول ليس فقط في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وإنما في الدول الغربية أيضًا. فهناك توجُّه يمينيٌّ سائد في السياق العالمي الحالي يتَّسِم بالتعصُّب القومي ومعاداة الأجانب وانعدام الثقة الذي يظهر حتى بين حلفاء تقليديين مثل الولايات المتحدة ودول منظمة حلف شمال الأطلسي (الناتو) والاتحاد الأوروبي. وإلى جانب النظام المتداعي، المدعوم غربيًّا، في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، تتسم السياسات الخارجية للولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا بغموضٍ وتحديدات ضبابية، فضلًا عن انسحابها الظاهري من المنطقة ومواصلة مبيعات الأسلحة لأنظمتها. ومن ثَمَّ، ترك ذلك فراغًا في المنطقة تملؤه أطرافٌ فاعلة إقليمية جديدة بوتيرةٍ متزايدة مع تنامي نفوذ روسيا والصين. وأسفر تعزيز التحالف بين المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة وتقاربهما مع إسرائيل عن استمرار المناخ العدائي تجاه حركات الإسلام السياسي.

كان هذا المؤتمر تكملةً لفعاليةٍ عَقَدها منتدى الشرق في فبراير/شباط من العام الجاري 2018 بعنوان "الاتجاهات السياسية بعد الانتفاضات العربية: تحوُّل الإسلام السياسي في ال(لا)نظامِ الإقليمي المتغيِّر". وكان الهدف من هذا المؤتمر - الذي جمع بعضَ قادة الإسلام السياسي وناشطين وأكاديميين مختصين بدراسة حركات الإسلام السياسي - هو رسم خريطةٍ تشمل التغيُّرات على الساحة الإقليمية والدولية وما يرافقها من تهديدات وفرص متاحة أمام حركات الإسلام السياسي في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، إضافةً الى التحوُّلات المؤسسية والأيديولوجية التي حصلت ردًّا على السياسات المتغيِّرة بعد الربيع العربي. وشهد المؤتمر أيضًا تركيزًا خاصًّا على آثار الإقصاء السياسي على ديناميات الاعتدال والتطرّف عند حركات الإسلام السياسي.

## النهوج المتغيِّرة للأطراف الفاعلة الإقليمية والدولية

### ملامح السياسة الخارجية الأميركية الجديدة

تتسم الولايات المتحدة - تحت قيادة رئيسها دونالد ترمب - بالتصرُّف بناءً على منطق السوق عبر جميع وظائف الدولة، إذ تعتمد سياسة ترمب الخارجية تجاه الشرق الأوسط على عقلانيةٍ سوقية يمكن تلخيصها في شعار: "أعطني أموالًا وسأفعل ما تريد"، على حدِّ قول أحد المشاركين في المؤتمر. وإلى جانب ذلك، تشكّل تصفية القضية الفلسطينية أحد أولويات السياسة الخارجية تجاه المنطقة بالنسبة إلى ترمب. واختلف المتناقشون في المؤتمر على مدى صحّة الفرضية المتداولة مؤخراً عن سياسة انسحاب الولايات المتحدة من منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. إذ احتجّ المشكّكون بهذه الفرضية بأنَّ الولايات المتحدة تسعى بقوّة إلى تصفية القضية الفلسطينية، بينما تواصل دعم إسرائيل والنظام العسكري في القاهرة، وقد انسحبت من خطة العمل الشاملة المشتركة (أو الاتفاق النووي) لدفع إيران إلى الخروج من سوريا. ومع ذلك، هناك ملامح خاصّة تتسم بها طريقة عمل هذه السياسة؛ إذ تُبنَى علاقة الولايات المتحدة مع المنطقة على أساسٍ شخصيٍّ وليس مؤسسيًّا، ويتسم ذلك بوجود دورٍ متزايد لشبكات التواصل الاجتماعي، لا سيما تويتر، مما يجعل هذه السياسة متقلِّبةً وعُرضةً للتلاعب وغير قابلة للتنبؤ بها، ومُضرَّة كذلك، بل شديدة الضرر.

**وشهد المؤتمر أيضًا تركيزاً خاصًّا على آثار الإقصاء السياسي على ديناميات الاعتدال والتطرّف عند حركات الإسلام السياسي**

### الأطراف الفاعلة الصاعدة في المنطقة: روسيا والصين

بعد استبعاد روسيا من المنطقة في أعقاب الحرب الباردة، عادت إليها روسيا مرةً أخرى طرفًا فاعلًا قويًّا عبر سوريا، بعدما شعرت بأنَّ القوى الغربية خدعتها في ليبيا. ويُعَدُّ تدخُّل روسيا في المنطقة مدفوعًا تمامًا ، وبشدَّةٍ، بمصالحها دون وجود أهدافٍ أو استراتيجيات مفيدة لتنمية المنطقة. وعلى الصعيد المحلي الروسي، تنجرف التطورات داخل روسيا أكثر فأكثر نحو اليمين بينما يُعزِّز بوتين حكومةً استبدادية قوية. وينعكس ذلك في المنطقة على نهج روسيا المعادي الذي تتبنَّاه تجاه الإسلام السياسي، باستثناء حماس التي تعتبرها روسيا ورقة مساومة، وفقًا لما ذكره أحد المشاركين. وثمة تحالف يتنامى بين روسيا وإسرائيل على حساب الفلسطينيين؛ إذ يجد نتنياهو أنَّ روسيا أشدُّ فائدةً في بلاد الشام، وهو يستطيع إدارة تحالف مع كلٍّ من الولايات المتحدة وروسيا. ومع اقتراب انتهاء الحرب السورية، ستُشكِّل روسيا التحدي الرئيس الذي سيتعيَّن على إيران التعامل معه، لا سيما إذا وافقت روسيا على العرض الأميركي المتمثِّل في طرد إيران من سوريا مقابل إبقاء الأسد في السُّلطة. وفي الوقت نفسه، تقترب تركيا وإيران من عقد تحالفٍ ثنائيٍّ ربما يبدو حذرًا بالنظر إلى أنَّ الطرفين لا يثقان في بعضهما البعض. ومع ذلك، فمن المتوقَّع أن يزداد التقارب بينهما بعد نهاية الحرب السورية.

**بعد استبعاد روسيا من المنطقة في أعقاب الحرب الباردة، عادت إليها روسيا مرةً أخرى طرفًا فاعلًا قويًّا عبر سوريا**

أمَّا الصين، فتنخرط في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا انخراطًا أقلَّ عسكريةً بكثير من روسيا، مدفوعةً في الأساس بمصالحها الاقتصادية، وليس بأيديولوجية سياسية ولا أجندات إقليمية موجَّهة نحو التنمية. إذ تتبع الصين نهجًا مختلفاً في التعامل مع سكَّانها المسلمين المحليين وسياستها الخارجية تجاه الأنظمة الإسلامية؛ فبينما تتبنَّى سياسةً داخلية قمعية تجاه المجتمعات الإيغورية المسلمة في أراضيها، تقوم سياستها الخارجية تجاه الدول الإسلامية الخاضعة لقيادة أنظمة إسلامية (مثل باكستان وإيران) على المصلحة. وعمومًا، يُعَدُّ نهج الصين تجاه حركات الإسلام السياسي براغماتيًّا، مما يجعل التقارب مع البلدان الخاضعة لحركات الإسلام السياسي يعتمد في المقام الأول على المصالح المتبادلة.

### الوضع الإقليمي

من المستبعد أن يشهد الوضع الإقليمي تغيراتٍ كبيرة على المدى القصير بسبب عدم وجود عوامل إقليمية ودولية معززة لذلك. أمَّا على المدى الطويل، فقد يؤدِّي تراكم السياسات المتناقضة التي تتبعها الأنظمة الاستبدادية القائمة إلى تغيير اجتماعيٍّ سياسيٍّ وتحوُّلات في التحالفات الإقليمية. أما على المستوى الدولي، ووفقًا لما ذكره أحد المتحدِّثين في المؤتمر، هناك جدلية مستمرَّة بين اليمين واليسار داخل الديمقراطيات القوية تدفعها للتحرُّك نحو مركزٍ غير ثابت. وفي ظلِّ الوقت القليل المتبقي في ولاية ترمب الرئاسية، سيكون هناك ردُّ فعلٍ حاد قد يدفع الوضع في الاتجاه المعاكس، ويمكن أن يكون الوضع مشابهاً كذلك أيضًا في الاتحاد الأوروبي. ومع ذلك، ففي الوقت نفسه، يُنبِّط صعود الشعبوية اليمينية في أوروبا إجراءَ حوار بنَّاء مع حركات الإسلام السياسي في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. وفضلًا

**إنّ غياب جوٍّ من الحرية، إلى جانب ضغوط الهجرة، يمنع إجراء عمليات إعادة تقييم وإعادة توجيه بنّاءة إذ تميل حركات الإسلام السياسي أكثر نحو عيش دور الضحية واتخاذ المواقف الدفاعية**

عـن ذلـك، فـإنّ غيـاب جـوٍّ مـن الحريـة، إلى جانـب ضغـوط الهجـرة، يمنـع إجـراء عمليـات إعـادة تقييـم وإعـادة توجيـه بنّـاءة إذ تميـل حـركات الإسـلام السـياسي أكـثر نحـو عيـش دور الضحيـة واتخـاذ المواقـف الدفاعيـة. بيـد أنَّ تلـك الحـركات تحتـاج إلى عمليـات إعـادة التقييـم هـذه مـن أجـل التجـاوب بكفـاءة مـع الأنظمـة المتغـيِّرة.

### حركات الإسلام السياسي في نظامٍ إقليميٍّ متغيِّر

تواجـه حـركات الإسـلام السـياسي مجموعـةً مـن الضغـوط الداخليـة والخارجيـة تدفعهـا في اتجاهـين متعاكسـين. فهنـاك أصـوات متصاعـدة مـن داخـل منطقـة الـشرق الأوسـط وشـمال إفريقيـا تحـثُّ هـذه الحـركات عـلى الإصـلاح في منـاخٍ يعـجُّ بالضغـوط عـلى عـدَّة مسـتويات. وعـلى الجانـب الآخـر، ثمـة توجُّـهٌ مُعـارِض مدفـوع بضغـوط داخليـة يحـثُّ تلـك الحـركات عـلى اتخـاذ مواقـف أكـثر تحفُّظًـا، ممـا يُضعِـف احتماليـة تنفيذهـا أيَّ إصلاحـات محتملـة، عـلى الأقـل عـلى المـدى القصـير. ويُعَـدُّ كلا المنهجـين مدفوعًـا جزئيًّـا بالسـياق الـدولي، الـذي شـهد صعـود حـركات شـعبوية يمينيـة إلى السُّـلطة، لا سـيما في بلـدان النصـف الغـربي مـن الكـرة الأرضيـة. وقـد أسـهَم صعـود بعـض هـذه الحـركات في الـدول الغربيـة - الـذي يرجـع جزئيًّـا إلى الـنزاع في منطقـة الـشرق الأوسـط وشـمال إفريقيـا وتدفُّـق اللاجئـين الـذي نجـم عنـه - في تعزيـز المنظـور الأمـني الـذي يُنظَـر بـه إلى تلـك الحـركات في منطقـة غـرب آسـيا وشـمال إفريقيـا، والنطـاق الجغـرافي الأوسـع. ويتشـكَّل السـياق الـدولي كذلـك عـبر اسـتجابات الـدول الفاعلـة في منطقـة الـشرق الأوسـط وشـمال إفريقيـا وضغوطهـا المعاديـة لحـركات الإسـلام السـياسي وأيديولوجيتهـا.

**ولا شكَّ أنَّ عمل حركات الإسلام السياسي في منطقةٍ ذات استقطاب سياسيٍّ شديد، وتشكيلها والتشكُّل بها بطريقةٍ تأسيسية متبادلة، جعلها أكثر ميلًا نحو التراجع لحماية نفسها من الصراعات التي يمكن جرُّها إلى داخلها**

وقـد دفـع الاسـتقطاب الإقليمـي بعـضَ حـركات الإسـلام السـياسي، الواقعـة عـلى نقـاطٍ مختلفـة مـن الطيـف السـياسي، إلى العزلـة، عـلى الأقـل عـلى مسـتوى بعـض الفصائـل. وطـوَّرت بعـض هـذه الحـركات في منطقـة الـشرق الأوسـط وشـمال إفريقيـا تكتيـكاتٍ وقائيـة مكَّنتهـا مـن المنـاورة، مـع الأخـذ في الاعتبـار الخـبرات الـتي اكتسـبتها مـن مراقبـة سـلوك الحـركات الأخـرى الـتي شـاركت في مراحـل معيَّنـة مـن الاضطرابـات المحليـة والإقليميـة. ووفقًـا لمـا ذكـره باحـثٌ مـصري، ففـي حـالاتٍ معيَّنـة، تعمَّـدت بعـض الحكومـات دَفْـعَ حـركات الإسـلام السـياسي إلى الجانـب اليمينـي مـن الطيـف السـياسي-الأيديولوجي مـن أجـل تقديـم مـبرِّر لقمعهـا واسـتئصالها. ولا شـكَّ أنَّ عمـل حـركات الإسـلام السـياسي في منطقـةٍ ذات اسـتقطاب سـياسيٍّ شـديد، وتشـكيلها والتشـكُّل بهـا بطريقـةٍ تأسيسـية متبادلـة، جعلهـا أكـثر ميـلًا نحـو التراجـع لحمايـة نفسـها مـن الصراعـات الـتي يمكـن جرُّهـا إلى داخلهـا. أمَّـا بالنسـبة إلى الحـركات المنخرطـة بالفعـل في الصراعـات، فتحـرص عـلى تجنُّـب الوقـوع في مزيـدٍ مـن الصراعـات، وفقًـا لمـا ذكـره مُشـاركٌ تونـسي إسـلامي بـارز.

### آثار الإدماج والإقصاء السياسيين في استراتيجية حركات الإسلام السياسي وأيديولوجيتها

في محاولـة الإجابـة عـن السـؤال الرئيـس حـول مـا إذا كانـت الجماعـات السياسـية لديهـا ميـلٌ نحـو الاعتـدال أم التطـرُّف في حـالات الإدمـاج والإقصـاء السياسـيين، تعامـل المشـاركون مـع صـورٍ مختلفـة مـن فهـم المصطلحـات الوصفيـة (مثـل التطـرف أو الاعتـدال) عـبر دراسـة ممارسـات بعـض حـركات الإسـلام السـياسي واسـتراتيجيتها، لا سـيما في سـوريا والمغـرب ومـصر، وخَلَصـوا في النهايـة إلى تأكيـد أنَّ المصطلحـات الوصفيـة (مثـل التطـرف أو الاعتـدال) لا تُفيـد كثـيرًا إذا لـم تُوظَّـف في تصنيفـاتٍ أكـثر تعقيـدًا وتفصيـلًا. وبوجـهٍ عـام، يُوظَّـف مصطلـح الاعتـدال في ثلاثـة معـانٍ مختلفـة: 1) دعـم الإصلاحـات الديمقراطيـة الليبراليـة أو معارضتهـا. 2) قبـول الأنظمـة القائمـة أو رفضهـا. 3) اسـتخدام وسـائل العنـف لدفـع التغيـير.

1- دعـم الإصلاحـات الديمقراطيـة الليبراليـة أو معارضتهـا: في هذا التصُّور، عادةً مـا يُنظَر إلى المعتدلـين والمتطرفين من حيث مشـاركتهم في المفاوضـات السياسـية لتحقيق الإصـلاح الديمقراطي الليـبرالي. وقد وضع أحد المشـاركين ثلاثـة أُطُر سياسـية تتأثَّر داخلها حركات الإسـلام السياسي.

**أولًا:** إطـار انتقـالي إصلاحـي تكامـلي خضعـت فيـه حـركات الإسـلام السـياسي لتغيـيرات أساسـية، بـل وانتقلـت في بعـض الحـالات نحـو إصـلاحٍ فصـل الممارسـة الدعويـة عـن الممارسـةٍ السياسـية. وتشـمل الأمثلـة ضمـن هـذه الفئـة حـزب حركـة النهضـة التونـسي، والاختـلاف المسـتمر القائـم

بين حزب العدالة والتنمية المغربي وحركة التوحيد والإصلاح المغربية، الذي بدأ في أواخر التسعينيات من القرن العشرين، والجبهة الإسلامية للإنقاذ في الجزائر (بعد اتفاق السلام).

**في محاولة الإجابة عن السؤال الرئيس حول ما إذا كانت الجماعات السياسية لديها ميلٌ نحو الاعتدال أم التطرُّف في حالات الإدماج والإقصاء السياسيين، تعامل المشاركون مع صورٍ مختلفة من فهم المصطلحات الوصفية (مثل التطرف أو الاعتدال) عبر دراسة ممارسات بعض حركات الإسلام السياسي واستراتيجيتها**

**وثانيًا:** إطار انتقالي شبه سلطوي شبه تكاملي أدَّى فيه الإدماج شبه الكامل والانفتاحات السياسية إلى تغييرات جزئية في حركات الإسلام السياسي. ولعل أبرز مثالٍ على ذلك هو حالة جماعة الإخوان المسلمين المصرية قبل الربيع العربي؛ إذ خضعت لتغييرات تدريجية مرنة أسفرت عن مشاركتها في احتجاجات الربيع العربي. وقد تجلَّى ذلك أيضًا في أثناء فترة حكمها التي أسَّست فيها حزبًا سياسيًّا، لكنَّها في الأساس لم تنقل الاستراتيجية السياسية وعملية صنع القرار من الحركة إلى الحزب. وقال أحد المشاركين إنَّ جماعة الإخوان المسلمين ما كانت لتُشارِك في الربيع العربي لو لم تحدث أي تغييرات داخلية. بيد أنَّ هذه التغييرات جزئيةٌ ويمكن ملاحظة تجلياتها في علاقة جماعة الإخوان المسلمين المصرية ببعض أفرع الجماعة الأخرى. إذ قال مُشاركٌ آخر إنَّ "جبهة الإنقاذ" المصرية دَعَت راشد الغنوشي في مايو/أيار من عام 2013 إلى التوسُّط بينها وبين محمد مرسي، الرئيس المصري آنذاك، من أجل تسوية الأزمة، لكنَّ الغنوشي لم يتلقَّ أيَّ ردٍّ لأنَّ جماعة الإخوان المسلمين المصرية اعتبرته "معتدلًا للغاية على المستوى الأيديولوجي".

**وثالثًا:** إطار نزاعي تحت بيئةٍ سلطوية بوتيرةٍ متزايدة يجعل حركات الإسلام السياسي إمَّا متطرفةً وإمَّا معزولة. وتُعَدُّ جماعة الإخوان المسلمين السورية مثالًا على هذا التحوُّل بعد اندلاع المظاهرات في سوريا عام 2011. وكانت بعض مظاهر ذلك التحوُّل واضحةً أيضًا في الانشقاقات التي نشأت في أعقاب حملة القمع ضد جماعة الإخوان المسلمين المصرية بعد انقلاب عام 2013.

2- قبول الأنظمة القائمة أو رفضها: عادةً ما يُستخدم مصطلحا الاعتدال والتطرُّف لعكس الموقف العام المتمثِّل في قبول الأنظمة القائمة أو رفضها. ووفقًا لذلك التصوُّر، يبدو أنَّ معظم حركات الإسلام السياسي كانت قد دخلت في عملية الاعتدال هذه قبل الربيع العربي. اذ أنّه قبل فترةٍ طويلة من اندلاع انتفاضات الربيع العربي، كان العديد من حركات الإسلام السياسي (لا سيما جماعة الإخوان المسلمين المصرية وشقيقاتها) قد تبنَّى دولةً قومية مركزية باعتبارها نقطةَ انطلاقٍ لرؤيته ومخططاته السياسية، بدلًا من الانطلاق من كيانٍ سياسيٍّ مكوَّن من الأمة الإسلامية ككل، وشاركت هذه الحركات بالفعل في الأنظمة الانتخابية في بلدانها. ولكن مع اندلاع الانتفاضات العربية، بدأت جماعة الإخوان المسلمين المصرية مواجهة مسألة الاختيار بين الثورة والإصلاح، التي ما زالت مسألةً خلافيةً في الجماعة كلَّفتها قطاعاتٍ كبيرة من شبابها الذين رفضوا أيَّ مسارٍ آخر غير المسار الثوري نحو الدمقرطة. ووفقًا لذلك التصُّور، يرتبط الإقصاء السياسي بالتطرُّف. بيد أنَّ التطرُّف ليس بالضرورة عسكريًّا، بل يُعَدُّ شكلًا من أشكال التطرُّف نحو الديمقراطية والقيم الديمقراطية. ولذلك، يُصبح مفهوم الاعتدال معقَّدًا حين نُسقِط عليه مساري الإصلاح والثورة بصفتهما وسيلتين لتحقيق التغيير الديمقراطي؛ فبعض قادة حركات الإسلام السياسي الذين يُعتَبَرون (إصلاحيين) براغماتيين ومَرِنين نسبيًّا في تعاملهم مع الأنظمة الحاكمة والأحزاب السياسية المُنافسة، يدعمون في الوقت نفسه الحفاظَ على الهيكل الهرمي الراسخ لجماعاتهم كما هو. بيد أنَّ العناصر الثورية (التي تُعَدُّ متطرِّفة في هذا التصوُّر) تُطالب بتغييراتٍ جوهرية في الأنظمة القائمة من أجل التحرُّك نحو الدمقرطة وتتنازع مع الكيانات التنظيمية حول الإصلاحات الداخلية. وهنا ينبثق تصنيفان ممَّا سبق: مُحافِظون داخل كياناتهم إصلاحيون خارجها، وإصلاحيون داخل كياناتهم متطرفون خارجها.

**عادةً ما يُستخدم مصطلحا الاعتدال والتطرُّف لعكس الموقف العام المتمثِّل في قبول الأنظمة القائمة أو رفضها. ووفقًا لذلك التصوُّر، يبدو أنَّ معظم حركات الإسلام السياسي كانت قد دخلت في عملية الاعتدال هذه قبل الربيع العربي**

لكنَّ هذه التصنيفات تكون نافعةً أكثر في التحليلات المبنية على مسارٍ متعلِّق بسِيَر الإسلاميين الذاتية التي يمكن تتبعها على المستوى الفردي وليس تحليل حركات الإسلام السياسي على المستوى الكلي، وهو ما يمكن أن يُساعد في فهم تحولات الإسلاميين وحركات الإسلام السياسي فهمًا أفضل. لذا ينبغي للباحثين الابتعاد عن التفكير في جماعة الإخوان المسلمين، وكلٍّ من حركات الإسلام السياسي الأخرى، باعتبارها منظمةً استثنائية أو وحدةً واحدة، ويجب أن يبدؤوا بالتركيز على الفرد بدلًا من الحركة الاجتماعية نفسها إذا كانوا بحاجةٍ إلى تعلُّم الوصول الى أي شيء خلاصات جديدة.

3-(عـدم) التسلُّح :يُعَـدُّ (عـدم) التسلُّح أيضًـا أحـد الأبعـاد الـتي يُفهَـم مـن خلالهـا مصطلـح الاعتـدال. وفي هـذا الصـدد، يمكـن تقسـيم مواقـف حـركات الإسـلام السـياسي بشـأن اسـتخدام وسـائل العنـف مـن أجـل التغيـير إلى أربـع فئـات:

**لذا ينبغي للباحثين الابتعاد عن التفكير في جماعة الإخوان المسلمين، وكلٍّ من حركات الإسلام السياسي الأخرى، باعتبارها منظمةً استثنائية أو وحدةً واحدة، ويجب أن يبدؤوا بالتركيز على الفرد بدلًا من الحركة الاجتماعية نفسها إذا كانوا بحاجةٍ إلى تعلُّم الوصول الى أي شيء خلاصات جديدة**

**أولًا:** معسـكر كبـير يعـارض - مـن حيـث المبـدأ - اسـتخدام الوسـائل المتطرفـة للتغيـير السـياسي، وهـذا المعسـكر تقوده حـركات الإخـوان المسـلمين (أو الحركات المؤدلجـة بأيديولوجيـة الإخـوان المسـلمين) الـتي تخلَّـت عـن هـذا المسـار (مثـل جماعـة الإخـوان المسـلمين المصريـة في الخمسـينيات والسـتينيات مـن القـرن العشريـن). وصحيـحٌ أنَّ جماعـة الإخـوان المسـلمين تعـارض بشـدَّةٍ اسـتخدام العنـف ضـد السـلطات المحليـة، لكنَّهـا تُشـجِّع اسـتخدامها ضـد القـوات الغازيـة (مثـل قـوات الاحتـلال الإسرائيـلي في فلسـطين والقـوات الأميركيـة في العـراق). ومـع ذلـك، لا يوجـد إجمـاعٌ بـين حـركات الإخـوان المسـلمين علـى عـدم اسـتخدام العنـف، في إشـارةٍ إلى الفرعـين السـوري واليمـني مـن الجماعـة. وثانيًـا: معسـكر لجـأ بطريقـةٍ تكتيكيـة إلى اسـتخدام وسـائل العنـف ضـد السـلطات المحليـة لغـرضٍ دفاعـيٍّ مـن أجـل حمايـة نفسـه مـن الاسـتئصال. ومـن الأمثلـة علـى هـذا المعسـكر الجبهـة الإسـلامية الجزائريـة للإنقـاذ. وثالثًـا: معسـكر كبـير يتبـنَّى الأيديولوجيـة السـلفية الجهاديـة الـتي تُشـجِّع اسـتخدام العنـف لإحـداث تغيـير اجتماعـيٍّ وسـياسيٍّ. وليـس السـبب الوحيـد في ذلـك هـو الإيمـان بفاعليـة هـذه الوسـيلة، بـل بشرعيتهـا أيضًـا. أمَّـا رابعًـا وأخـيرًا: معسـكر (غالبيتـه مـن حـركات الإسـلام السـياسي الشـيعية وأقليتـه مـن حـركات الإسـلام السـياسي السُّـنِّية) يعتمـد علـى هيـكلٍ ثنـائيٍّ مكـوَّن مـن حـزبٍ سـياسيٍّ وقـوةٍ شـبه عسـكرية (وهـذا يشـبه تمامًـا الهيـكل المـزدوج لجمهوريـة إيـران الإسـلامية). ويتضمَّـن هـذا المعسـكر حـزب الله في لبنـان، وحركـة أنصـار الله (المعروفـة بالحركـة الحوثيـة) في اليمـن، ومجموعـة مـن القـوات شـبه العسـكرية في العـراق الـتي يُعَـدُّ غالبيـة أفرادهـا مـن الشـيعة (والـتي تعمـل الآن تحـت مظلَّـة وحـدات الحشـد الشـعبي). أمَّـا حـركات الإسـلام السـياسي السُّـنِّية الـتي لديهـا هيـكلٌ كهـذا فتتضمَّـن حمـاس والجهـاد الإسـلامي في فلسـطين. وبعيـدًا عـن محـاكاة بعـض النمـاذج الأجنبيـة، تلجـأ هـذه الحـركات إلى إنشـاء ذلـك الهيـكل لأنَّهـا تشـعر بعـدم الأمـان؛ لـذا تحتـاج إلى "شـبكة إنقـاذ" متمثلـة في جنـاحٍ مُسـلَّح للحفـاظ علـى وجودهـا (ويتحـول ذلـك إلى قاعـدة ثابتـة). وجديـرٌ بالذكـر أنَّ عـدم التسلُّح في حـركات الإسـلام السـياسي ليـس دائمًـا عمليـة متناغمـة، فهنـاك تحزُّبـاتٌ وأفـرادٌ لديهـم نفـوذٌ علـى توجُّـه حركاتهـم يمكـن أن يدفعهـا في أيِّ اتجـاهٍ مـن الاتجاهين أو يُسـبِّب انقسـامًات فيها.

### بعض نماذج حركات الإسلام السياسي في سوريا ومصر والمغرب

#### 1) حركات الإسلام السياسي في سوريا

بالنسـبة إلى سـوريا، فقـد تأثَّـرت حـركات الإسـلام السـياسي بعوامـل عديـدة جـدًّا شـكَّلت هوياتهـا وأيديولوجياتهـا واسـتراتيجياتها. إذ طغـت مجموعـةٌ مـن حـركات الجهاديـة السـلفية - الـتي لـم تكـن موجـودةً قبـل الثـورة - تدريجيًّـا علـى جماعـة الإخـوان المسـلمين السـورية الـتي تُعَـدُّ بـارزةً لكنَّهـا غـير مهمَّـة. وهنـاك عـددٌ كبـير مـن المقاتلـين السـلفيين الجهاديـين في سـوريا ليسـوا مواطنـين سـوريين، وهـو مـا يُضيـف أهميـةً أكبـر إلى التميـيز بـين الحـركات الإسـلامية السـورية (الوطنيـة) والجماعـات السـلفية الجهاديـة الـتي ظهـرت لاحقًـا في ظـلِّ تحـوُّل الثـورة إلى نـزاعٍ مُسـلَّح أو حـربٍ أهليـة. وعـلى عكـس الحالـة التونسـية الـتي سـعت فيهـا بعـض الـدول المجـاورة والـدول ذات المصالـح إلى اسـتقرار تونـس، ففـي سـوريا، سـعت بعـض الـدول ذات المصالـح إلى اسـتخدام الثـورة السـورية ضـد إيـران (أحـد حلفـاء النظـام السـوري)، بينمـا سـعى البعـض الآخـر إلى دعـم تحـوُّل الثـورة، في حـين سـعت بعـض الجماعـات المسـلحة غـير الحكوميـة داخلهـا إلى دمـج حركـة الإسـلام السـياسي في محورهـا الإقليمـي النـاشئ. وتعرَّضـت الحركـة الإسـلامية الوطنيـة في سـوريا لمزيـدٍ مـن التهميـش أو الاحتـواء لحسـاب مـا وصفـه خبـيرٌ سـوري بعمليـة نـشر الخطـاب الجهـادي السـلفي بـين المواطنـين السـوريين، دون نـشر الأيديولوجيـة الأساسـية نفسـها.

أمَّـا بالنسـبة إلى جماعـة الإخـوان المسـلمين السـورية، فيُذكَـر أنَّهـا تعرَّضـت لحملـةٍ قمعيـة واسـعة النطـاق مـن جانـب السـلطات السـورية في الثمانينيـات، ممـا أسـفر عـن تقليـل وجودهـا داخـل البـلاد، وجعلهـا واحـدةً مـن أقـل الحـركات تأثـيرًا بعـد انـدلاع الثـورة السـورية. ومـع ذلـك، شـهدت سـوريا نشـاطًا مـن جانـب العديـد مـن الحـركات والأفـراد الذيـن كانـوا يتبنـون

**وبعيدًا عن محاكاة بعض النماذج الأجنبية، تلجأ هذه الحركات إلى إنشاء ذلك الهيكل لأنَّها تشعر بعدم الأمان؛ لذا تحتاج إلى «شبكة إنقاذ» متمثلة في جناحٍ مُسلَّح للحفاظ على وجودها (ويتحول ذلك إلى قاعدة ثابتة)**

أفكار الإخوان المسلمين ذاتها. وحاولت الجماعة إعادة التواصل من الخارج مع المواطنين داخل سوريا عبر المشاركة وإنشاء مؤسساتٍ ومنصاتٍ إغاثية ومدنية وسياسية. وقد تأثَّرت حركة أحرار الشام بكيفية قمع جماعة الإخوان المسلمين، وبالغزو الأميركي للعراق، مما جعل مؤسسيها يتبنون أفكارًا سلفية جهادية.

**2) حزب النور في مصر**

كان أحد التحولات الرئيسة التي شهدتها حركات الإسلام السياسي في مصر بعد ثورة عام 2011، هو ظهور حزب النور السلفي الذي عكس اتجاه تسييس غير مسبوق داخل الحركة. إذ أحدَثَ الحزب تحوُّلًا أيديولوجيًّا استراتيجيًّا كبيرًا غير مسبوق، وكان أحد أهداف ذلك التحوُّل هو الدفاع عن مصالح الحركة ووجودها عبر تمثيلها في النظام السياسي المصري الجديد بعد ثورة عام 2011. وقد تبلورت أُسُس ذلك عبر تشكيل حزب النور الذي تلاه أحزاب سلفية أخرى أقل نفوذًا وحجمًا. وأسفر ذلك التحوُّل عن انقسامٍ في حركة الدعوة الدينية إلى ثلاث مجموعات: الأولى كانت مؤيدةً لحزب الحرية والعدالة التابع لجماعة الإخوان المسلمين ضد القوى السياسية العلمانية (بينما لم تكن بالضرورة تمارس سياساتٍ حزبية). أمَّا الثانية، فتمثَّلت في حزب النور الذي كان يدعم المشاركة في السياسة الحزبية والتنافس مع حزب الحرية والعدالة (بالرغم من إنضمامه إلى ائتلافٍ مع حزب الحرية والعدالة). وقد توجَّه الحزبان نحو مسار تصادميٍّ حين لم يُنفِّذ حزب الحرية والعدالة وعودَه لحزب النور بمنحه مناصبَ وزارية، وفقًا للرواية السلفية. بينما كانت المجموعة الثالثة تدعم الانخراط في شبكاتٍ عنيفة عابرةٍ للحدود لإقامة حُكمٍ إسلامي.

**كان أحد التحولات الرئيسة التي شهدتها حركات الإسلام السياسي في مصر بعد ثورة عام ٢٠١١، هو ظهور حزب النور السلفي الذي عكس اتجاه تسييس غير مسبوق داخل الحركة. إذ أحدَثَ الحزب تحوُّلًا أيديولوجيًّا استراتيجيًّا كبيرًا غير مسبوق، وكان أحد أهداف ذلك التحوُّل هو الدفاع عن مصالح الحركة**

لكنَّ التحدي الأكبر الذي يواجه حزب النور هو كيفية التوفيق بين مشاركة الحركة في سياسات الأحزاب عبر إنشاء أحزاب سياسية، والحفاظ على أيديولوجيتها غير السياسية. إذ إنَّ الفكر السلفي التقليدي لا يُشجِّع السياسة الحزبية معتبرًا إيَّاها شكلًا من أشكال الفُرقة في صفوف المسلمين، ولا يشجِّع على عصيان الحاكم المسلم سياسيًّا. ولم يتوصل حزب النور حتى الآن إلى التوفيق بين تاريخه وأيديولوجيته في مشروعه السياسي الجديد.

من المهمِّ أن نأخذ في عين الاعتبار أنَّ حزب النور لم يكن المظهر الوحيد للدينامية المتنامية وعملية إعادة التشكيل اللتين مرَّت بهما حركات الإسلام السياسي في مصر بعد ثورة عام ٢٠١١. فالسُّلطة الدينية الرسمية في مصر كذلك (بالإضافة إلى مؤسسات أخرى في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا) تُسهِم في تشكيل المجال السياسي عبر جعل حركات الإسلام السياسي، بما في ذلك الحركة السلفية وقطاعاتها السياسية، أطرافًا في الحوار السياسي. وتحتاج العلاقة بين المؤسسات الدينية وحركات الإسلام السياسي إلى مزيدٍ من الاستقصاء مع تركيزٍ خاصٍّ على السرديات وعمليات الشرعنة.

**3) ديناميات حركات الإسلام السياسي في المغرب**

أسهمت ثلاثُ حركاتٍ وأحزاب مغربية، وهي حزب العدالة والتنمية وحركة التوحيد والإصلاح وجماعة العدل والإحسان، إسهامًا مؤثرًا بدرجاتٍ متفاوتة في تشكيل المشهد السياسي المغربي من داخل الساحة السياسية والاجتماعية بعد موجة الاحتجاجات التي اندلعت في عام 2011. وكان الطرف المؤثِّر الرئيس وسط حركات الإسلام السياسي هو حزب العدالة والتنمية، الذي يقود الحكومة الحالية وصاحب الأغلبية في مجلس النواب الحالي. ويُمكِن تقسيم مسيرة حزب العدالة والتنمية في السُّلطة المغربية إلى مرحلتين: الأولى من عام 2012 إلى عام 2016، والثانية من العام الماضي 2017 حتى الآن.

في المرحلة الأولى، حاول الحزب زيادة صلاحيات الحكومة، وتحدِّي سلطة القصر الملكي، والسعي إلى تحقيق إصلاحات محدَّدة. وكانت تحرُّكات الحزب في تلك الفترة مدفوعةً بمجهودات عبد الإله بنكيران، رئيس الوزراء السابق. وفي أثناء هذه المرحلة، شهدت ثقة الجمهور

في الحزب والحكومة التي يقودها مدًّا وجزرًا. وكان أحد العوامل المهمَّة في تأطير الحزب محليًّا وإقليميًّا هو تزايد المشاعر المعادية للإسلام السياسي في منطقة شمال إفريقيا، لا سيما في تونس ومصر، خاصةً مع نجاح الانقلاب العسكري في مصر ضد حكومة جماعة الإخوان المسلمين في عام 2013. بيد أنَّ الحزب تمكَّن من البقاء في السلطة عبر استراتيجية تجمع بين البراغماتية والتواصل الفعَّال، فكانت النتيجة تحسين العلاقة مع القصر الملكي.

**وتحتاج العلاقة بين المؤسسات الدينية وحركات الإسلام السياسي إلى مزيدٍ من الاستقصاء مع تركيزٍ خاصٍّ على السرديات وعمليات الشرعنة**

كان التوسُّع الأفقي للحزب مصدرَ قلقٍ كبير للقصر الملكي. ففي عام 2015، حلَّ الحزب في المرتبة الثالثة في الانتخابات المحلية والمرتبة الأولى في الانتخابات الإقليمية وفقًا لعدد المقاعد. أمَّا في العام الذي تلاه، فقد حصل الحزب على مقاعد أكثر في الانتخابات البرلمانية. وقد أسفر ذلك عن نتيجتين: الأولى أنَّ القصر سعى إلى مضايقة الحزب لوضعه في ائتلافٍ ضعيف، والثانية أنَّ القصر منع عبد الإله بنكيران من الاستمرار في منصبه ولايةً ثانية وعيَّن محلَّه شخصًا أكثر انصياعًا، وهو سعد الدين العثماني. وأثارت الطريقة التي تدخَّل بها القصر في الحزب انقساماتٍ داخله إلى معسكرين: أحدهما كان يؤيد استرضاء القصر لتهدئة مخاوفه حيال نيَّات الحزب، والآخر كان يؤيد الاستفادة من القوة التفاوضية التي اكتسبها الحزب وتراكمت في الفترة التي أعقبت احتجاجات عام 2011. بيد أنَّ الحزب رضخ لإجراءات القصر وبقي في حكومةٍ ضعيفة، بينما انخفضت شعبيته نسبيًّا وكذلك تماسكه الداخلي. واستجابةً لضغوط القصر، بدأ الحزب في كَبْحِ جماح نفسه والتفكير بطريقةٍ أكثر استراتيجيةً في علاقته بالقصر، مع بَذل المزيد من الجهود لتعزيز قاعدته الشعبية.

### مساراتٌ محتملة أمام حركات الإسلام السياسي

تُشكِّل التغيرات في الساحتين الإقليمية والدولية تحديًا متزايدًا أمام حركات الإسلام السياسي. إذ تحدَّث بعضُ المشاركين عن البيئة التي تُهدِّد تلك الحركات، لا سيما في ظلِّ الجهود الرامية إلى إدراج جماعة الإخوان المسلمين المصرية ضمن التنظيمات الإرهابية، واقترحوا بعضَ الاستراتيجيات بشأن كيفية المضيِّ قُدمًا وضمان بقاء جماعة الإخوان المسلمين والحركات الأخرى المُهدَّدة مثلها. فالوضع الذي تجد جماعة الإخوان نفسها فيه غير مسبوق، والتحديات الداخلية تُمثِّل مظهرًا واحدًا فقط من مظاهر تياراتٍ وجدالاتٍ تاريخية أعمق داخل الحركة. ومع ذلك، تفتقر الجماعة إلى سرديةٍ متماسكة واستراتيجية بشأن التعامل مع التحديات.

**فالوضع الذي تجد جماعة الإخوان نفسها فيه غير مسبوق، والتحديات الداخلية تُمثِّل مظهرًا واحدًا فقط من مظاهر تياراتٍ وجدالاتٍ تاريخية أعمق داخل الحركة. ومع ذلك، تفتقر الجماعة إلى سرديةٍ متماسكة واستراتيجية بشأن التعامل مع التحديات**

وبخصوص طريقة عمل جماعة الإخوان المسلمين في مصر عقب الانقلاب العسكري، يرى بعض المشاركين أنَّ التحدِّي الذي يواجه قيادات جماعة الإخوان المسلمين هو تقديم سردية متماسكة عن الإطاحة بحزب الحرية والعدالة التابع لها من السُّلطة، وهو ما يمكن أن تستفيد منه الجماعة في المشاركة مرةً أخرى في المشهد السياسي بمصر. إذ ينتهج نظام السيسي أسلوبَ تمزيق النسيج الاجتماعي لضرب الفصائل السياسية ببعضها من أجل ترسيخ نفسه في السُّلطة وتثبيت أقدام الثورة المضادة. لذا فأهمُّ استراتيجية ينبغي لجماعة الإخوان المسلمين اتِّباعها هي البدء في إصلاح علاقتها بعناصر المجتمع المصري الأخرى، وإقامة تحالفات مع فصائل مصرية ودولية، ومحاربة السردية التي تقول بأنَّ الحرب مجرَّد حربٍ بين الجيش والإسلاميين فقط.

ويبدو أنَّ جماعة الإخوان المسلمين غير قادرة على تأطير نفسها عقب الانقلاب العسكري في مصر، وتحديد ما إذا كانت حركةً إصلاحية أم ثورية، وهو ما يؤثر سلبًا في عملية التفكير التأمُّلي في وضعها، التي ينبغي أن تجريها الجماعة. ويتمثَّل السؤال الرئيس الصعب الذي يواجه الجماعة في ما إذا كانت حركةً ثورية أم حركة تؤمن بالتغيير التدريجي. فهذا سؤالٌ متعلِّق بالهوية بقدر تعلُّقه بالأيديولوجية واستراتيجية مواجهة النظام العسكري. ويبدو أن هناك حالةً من السخط المتزايد، حتى وإن لم تكن مُعلَنةً، في صفوف قاعدة الجماعة تجاه وضعها الراهن واستراتيجية "التأنِّي في انتظار ما سيحدث" التي يبدو أنَّ القيادة القديمة تتبنَّاها. ومن ثَمَّ، فإذا تبنَّت الجماعة توصيفًا أوضح لتوجهاتها السياسية (والأيديولوجية)، فمن المرجَّح جدًّا أن يُشكِّل ذلك التوصيف استراتيجياتها.

على المستوى الجزئي، يُعَدُّ أحد الجوانب المهمَّة التي تعوق تطور الابتكار الفكري والسياسي داخل جماعة الإخوان المسلمين هو جمود هيكل الجماعة الهرمي الذي يقمع تنمية القدرات الفردية. وجديرٌ بالذكر أنَّ عملية الإضعاف والتجزئة التي تمرُّ بها الجماعة حاليًا لا تؤدِّي بالضرورة إلى إضعاف التسلسل الهرمي وإمكانات الإصلاح التنظيمي. لذا فهناك نزعة بين المنتقدين نحو التركيز على أصغر المشكلات في الحركة، وليس التركيز على الجماعة ككلٍّ باعتبارها حركةً سياسية اجتماعية عبر منظورٍ كليٍّ أكبر. وأكَّد العديد من المتحدِّثين أنَّ جماعة الإخوان المسلمين تحتاج إلى عملية إعادة تقييم جوهرية جادَّة ذات بُعْدين: الأول هو رؤيتها المتركِّزة حول الدولة، والثاني هو أجندتها الخاصَّة بالتحول المجتمعي. وركَّز بعض المتحدِّثين على أهمية تأسيس مشروع سياسيٍّ اقتصاديٍّ واضح يعالج الفجوات المتنامية بين الأغنياء والفقراء، والوضع الاقتصادي الصعب الذي يجد الفقراء أنفسهم فيه. وصحيحٌ أنَّ الإخوان عادةً ما كانوا يتوسطون بين النخبة والمناطق الريفية، لكنهم بدؤوا يفقدون قوتهم في المناطق الريفية مؤخرًا.

وشدَّد مُشاركٌ آخر على حاجة جماعة الإخوان المسلمين إلى التواصل مع الغرب من أجل مواجهة الجهود المبذولة لإدراجها ضمن التنظيمات الإرهابية. وبعيدًا عن الحكومات الغربية، هناك أرضية خصبة للشراكة مع الجماعات اليسارية داخل المجتمع المدني الغربي. وتحتاج حركات الإسلام السياسي إلى تقييم استجابتها للتحالف المتنامي بين إيران وتركيا. صحيحٌ أنَّ العديد من هذه الحركات لديها مشاعر سلبية عميقة تجاه العمل مع إيران، لكنَّها تحتاج - بصفتها مجموعاتٍ سياسية - إلى تجاوز هذه المشاعر للنظر في كيفية تحقيق أقصى استفادة من هذه العلاقة لمصلحة الحركات ككل.

**كتب هذا التقرير تامر بدوي وروان حمُّود**

**عن الشرق**

منتـدى الـشرق هـو شـبكة دوليّـة مسـتقلّة تتمثّـل مهمتهـا في تطويـر اسـتراتيجيّات طويلـة الأمـد لضمـان التطـور السـياسي، والعدالـة الاجتماعيّـة، والازدهـار الاقتصـاديّ لشـعوب منطقـة الـشرق الأوسـط. وسـيقوم بتنفيـذ ذلـك مـن خـلال الأبحـاث المتفانيـة في العمـل العـامّ، وبتعزيـز مُثُـل المشـاركة الديمقراطيّـة، والحـوار بـين أصحـاب المصالـح المتعـددة والعدالـة الاجتماعيّـة

**Address**: Istanbul Vizyon Park A1 Plaza Floor:6
No:68 Postal Code: 34197
Bahçelievler/ Istanbul / Turkey
**Telephone:** +902126031815
**Fax:** +902126031665
**Email:** info@sharqforum.org

**sharqforum.org**

/ SharqForum

/ Sharq-Forum

منتدى الشرق
ALSHARQ FORUM